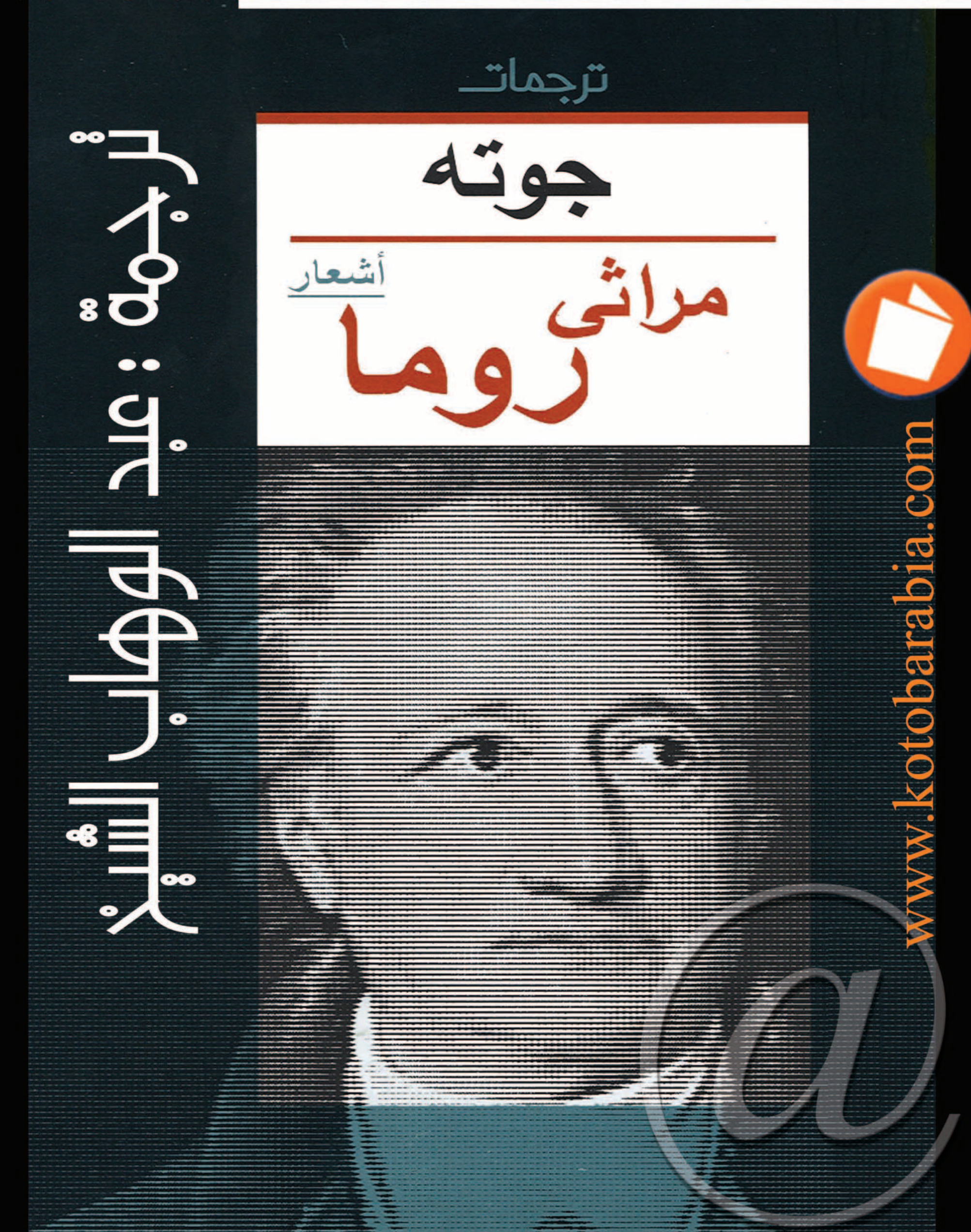

ترجمات
جوته
مراثي روما
أشعار
ترجمة: عبد الوهاب الشيخ
www.kotobarabia.com

مَراثِي رُومَا

مُختَارات مِنْ شِعْر جُوتَه

ترجمة

عبد الوهاب الشيخ

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

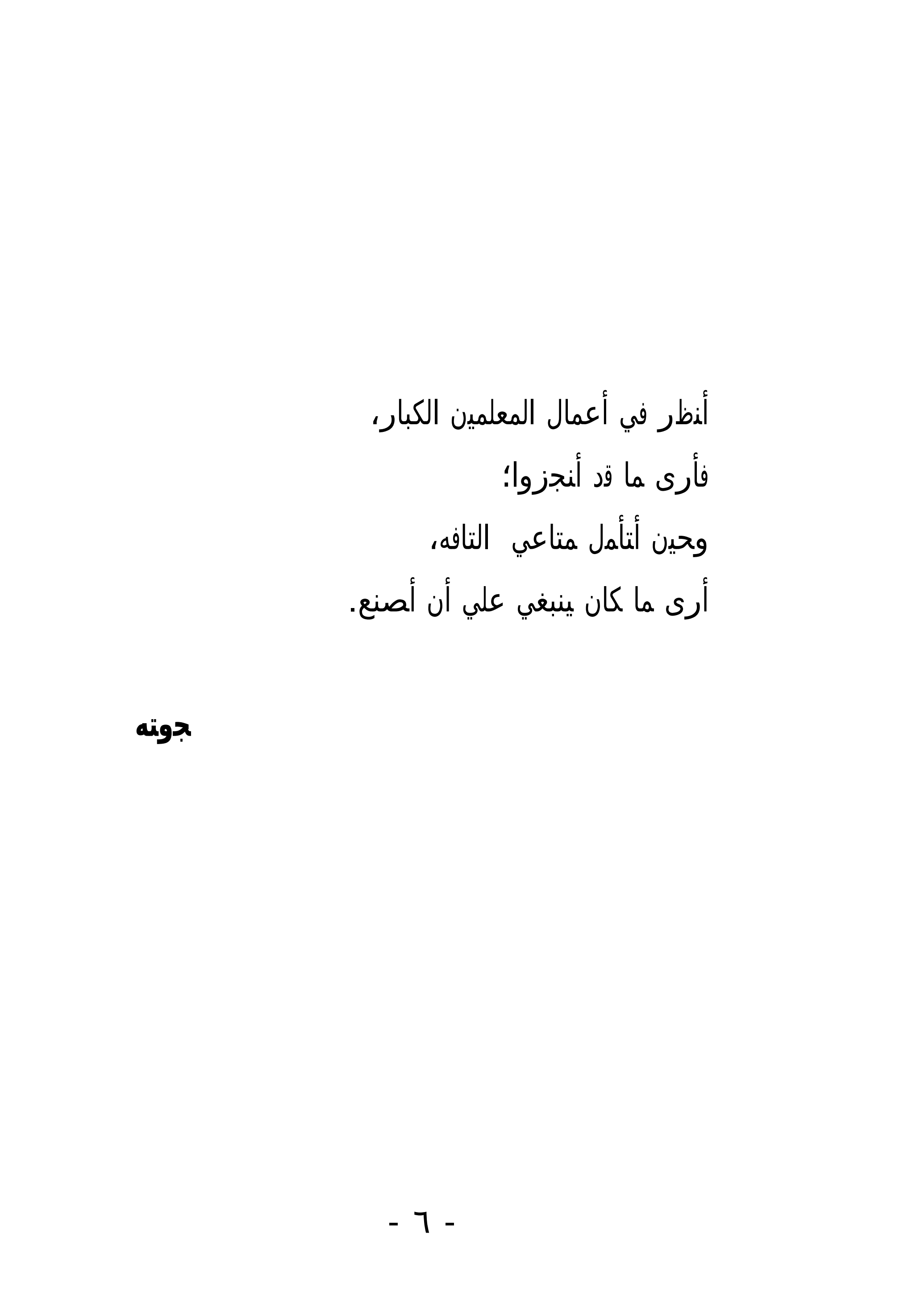


إهداء

إلى صاحب النور والفراشة...

عبد الوهاب

فهرس



أنظر في أعمال المعلمين الكبار،
فأرى ما قد أنجزوا؛
وحين أتأمل متاعي التافه،
أرى ما كان ينبغي علي أن أصنع.

جوته

(وإذا ما اغترف الشاعر بيده الطاهرة،[1] تكور من تلقاء نفسه الماء..)

جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢)

يعد يوهان فولفجانج فون جوته أول كاتب ألماني منذ مارتن لوثر يجذب انتباه الشعوب الأوروبية. ولد جوته في الثامن والعشرين من أغسطس عام ١٧٤٩م بمدينة فرانكفورت، لأب من أصل متواضع حاز درجة الدكتوراه في القانون، وحقق قدرا من الثراء.

شرع جوته منذ طفولته في تعلم اللاتينية واليونانية وبعض اللغات الحية كالإيطالية والفرنسية ثم الإنجليزية فيما بعد، وحين بلغ السادسة عشر التحق بجامعة ليبزج ليدرس القانون، ثم انتقل إلى جامعة استراسبورج عام ١٧٧٠م حيث التقى بالفيلسوف والأديب جوتفريد هردر رائد حركة العصف

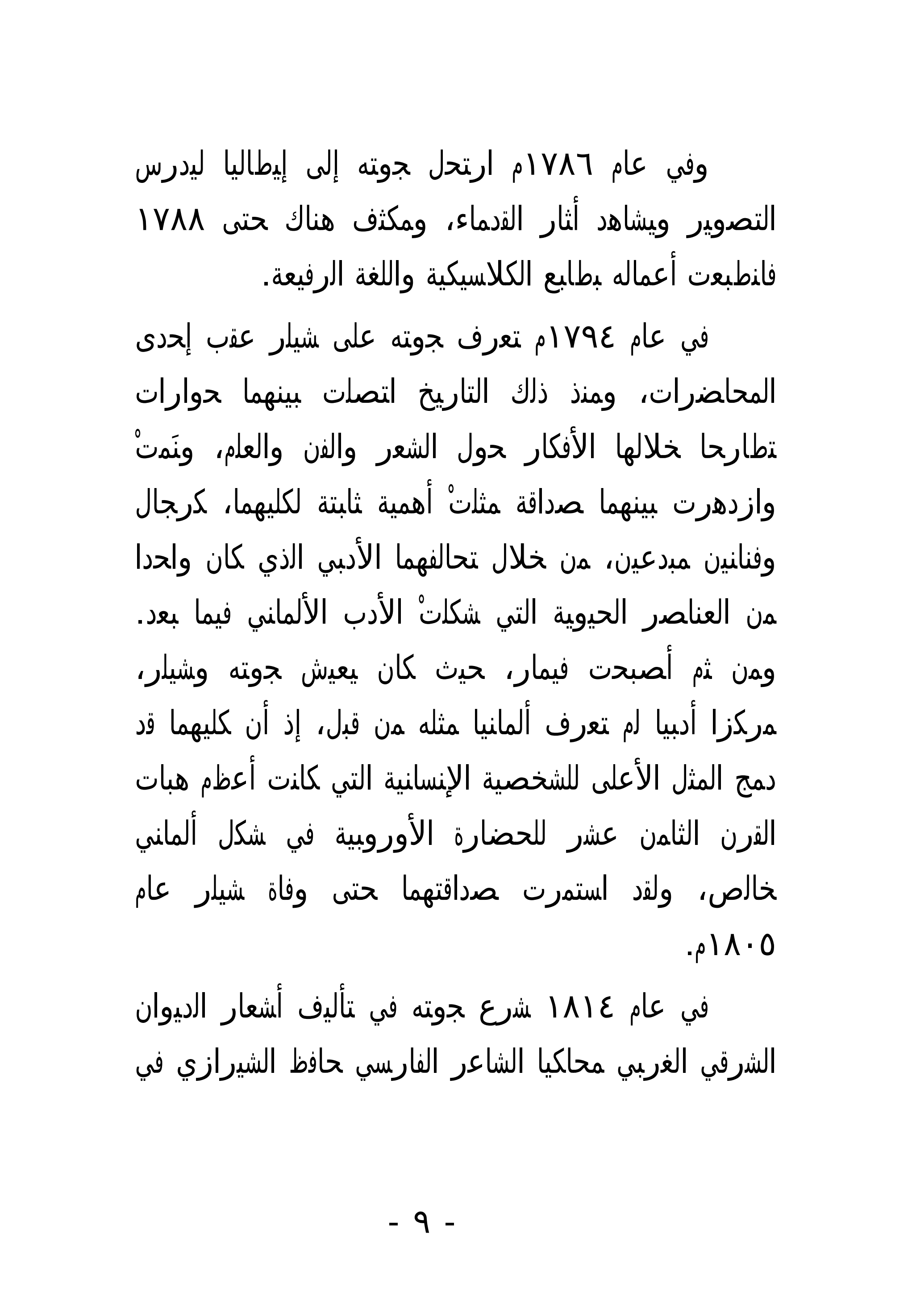
---

(١) "أغنية وتشكيل" – الديوان الشرقي.

والدفع، الذي هداه إلى عوالم الآداب الشرقية فقرأ الكتاب المقدس واطلع على ترجمة القرآن الكريم وسيرة النبي محمد (صلى ا عليه وسلم) تمهيدا لكتابة مسرحية عن حياته لم ينجزها. وهناك أخذ جوته ينظم أشعاره الغنائية الأولى متأثرا بكتابات هردر حول ثراء الأغاني الشعبية خاصة في قالب البالاد أو الحكاية الشعرية، فعرف الشعر الألماني في قصائده نمطًا جديدا من التلقائية وقوة التعبير.

بعد أن أتم جوته دراسته وأثناء تدربه على ممارسة المحاماة مر بتجربة عاطفية قاسية كتب على إثرها روايته "أحزان الشاب فيرتر" التي حققت له شهرة واسعة في سن صغيرة.

في عام ١٧٧٤ قابل جوته كارل أوجست أمير فيمار الذي كان قد أعجب بروايته فدعاه إلى إمارته، حيث توطدت بينهما أواصر الصداقة واتخذ منه وزيرا. وفي مدينة يينا أقام جوته قبل استقراره في فيمار، وتطورت أشعاره من المباشرة التي كانت السمة الغالبة في مرحلة استراسبورج إلى أسلوب أكثر إحكاما، وأصبحت القصيدة كُلاً عضويا مما أكسبها شكلاً منضبطًا رغم شذوذها الظاهري.



وفي عام ١٧٨٦م ارتحل جوته إلى إيطاليا ليدرس التصوير ويشاهد أثار القدماء، ومكث هناك حتى ١٧٨٨ فانطبعت أعماله بطابع الكلاسيكية واللغة الرفيعة.

في عام ١٧٩٤م تعرف جوته على شيلر عقب إحدى المحاضرات، ومنذ ذلك التاريخ اتصلت بينهما حوارات تطارحا خلالها الأفكار حول الشعر والفن والعلم، ونَمتْ وازدهرت بينهما صداقة مثلتْ أهمية ثابتة لكليهما، كرجال وفنانين مبدعين، من خلال تحالفهما الأدبي الذي كان واحدا من العناصر الحيوية التي شكلتْ الأدب الألماني فيما بعد. ومن ثم أصبحت فيمار، حيث كان يعيش جوته وشيلر، مركزا أدبيا لم تعرف ألمانيا مثله من قبل، إذ أن كليهما قد دمج المثل الأعلى للشخصية الإنسانية التي كانت أعظم هبات القرن الثامن عشر للحضارة الأوروبية في شكل ألماني خالص، ولقد استمرت صداقتهما حتى وفاة شيلر عام ١٨٠٥م.

في عام ١٨١٤ شرع جوته في تأليف أشعار الديوان الشرقي الغربي محاكيا الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي في

طريقة نظمه، بعد أن عاوده طائر الشعر إثر لقائه بالشاعرة مريانه فيلْمر وعشقه لها.

هكذا أصبح جوته واحدا من أعلام القصيدة الغنائية في أوربا كلها، منتقلاً من التعبير عبر جمل بسيطة عما يمكن أن يسمى حقائق عارية في (أغنية مايو، جريتشن بجوار المغزل، أغنية متجول ليلاً، هبط الغسق من أعلى) إلى أسلوب أكثر تعقيدا في (حنين مبارك، كلمات أورفية). ولقد تضمنت مسيرته الإبداعية أشد الفترات إثارة في تاريخ الأدب الألماني الذي لم يعد شأنًا محليا كما كان منذ العصور الوسطى، ولحق ريعا بتطورات الأدب في الأقطار الأخرى حتى أنه في مدى جيل واحد احتل مكانه في المركز من اهتمام الأوربيين. وبالطبع قام جوته بالدور الأكبر في هذه النقلة النوعية مشاركًا في جميع مراحلها، من المباشرة في أغنية مايو إلى كلاسيكية مراثي روما إلى الأشعار الفلسفية في أعوامه الأخيرة، منتهيا إلى نوع من الإشراقات الصوفية في الديوان الشرقي الغربي والقسم الثاني من فاوست.

وفي عام ١٨٣٢م مات جوته بعد أن حقق في أعماله الأخيرة ما يشبه الصفاء الأوليمبي، من خلال توازن القوى

المتعارضة بها، وبرغم القيمة الفنية العالية لرواياته ومسرحياته وأعماله النقدية والعلمية، فإنه بواسطة أشعاره الغنائية تحديدا ورائعته فاوست التي كتبها على مدى ٣٠ عاما احتل مكانة الصدارة في آداب اللغة الألمانية.

(المترجم)

أغنية مايو

كم تسطع الطبيعة

في سناءٍ نحوي ..!

كم تأتلق الشمس ..!

وكم تضحك الحقول ..!

تندفع الزهور

من كل غصن وآلافُ الأصوات

من الأجمة

والفرح والبهجة

من كل صدر.

أيتها الأرض، أيتها الشمس ..!

أيتها السعادة، أيها السرور ..!

أيها الحب، أيها الحب ..!

ذهبي أنت وجميل،

مثل سحب الصباح

فوق تلك القمم ..!

تُبارك الحقلَ النضير

في سناء،

والكون مفعم

بروائح الزهر.

أيتها الفتاة، أيتها الفتاة،

كم أحبكِ ..!

كم تومض عينكِ ..!

كم تحبينني ..!

* * * *

هكذا تحب القُبرةُ

الغناء والهواء،

وأزهار الصبح

أريج السماء،

* * * *

كم أحبك ..!

ملء دمي الدافيء،

يا من وهبتِني الشباب

والفرح والشجاعة

كي أصوغ أغنيات جديدة

ورقصات.

فلتسعدي سعادة أبدية

كحبك الأبدي لي.

* * * *

زهيرة برية

أبصر فتى زهيرةً نامية،

زهيرة في المرج،

كانت صغيرة جدا وجميلة كالصبح،

فجري مسرعا ليراها عن قرب،

ونظر إليها في فرح كبير.

زهيرة، زهيرة، زهيرة حمراء،

زهيرة في المرج.

قال الفتى: سأقطفك،

يا زهيرة في المرج ..!

قالت الزهيرة: سوف أخزك،

حتى تتذكرني دائما،

ولا أريد أن أعاني.

زهيرة، زهيرة، زهيرة حمراء،

زهيرة في المرج.

الولد المتوحش قطفها

الزهيرة التي في المرج؛

والزهيرة قاومت ووخزته،

لكن لم يسعفها الألم ولا الآه،

كان حتما أن تعاني.

زهيرة، زهيرة، زهيرة حمراء،

زهيرة في المرج.

* * * *

ترحيب ووداع

خفق قلبي: لتُسرع على ظهر جواد ..!

حدث هذا تقريبا قبل أن أفكر فيه.

كان المساء يهدهد الأرض،

الليلُ منسدلٌ إزاء الجبال؛

وقد انتصبت السنديانة في رداء من الضباب،

عملاقًا شاهقًا،

هنالك حيث تحدق الظلمةُ من الأجمة،

بمئة من الأعين السوداء.

* * * *

كان القمر يلوح حزينًا من خلال السديم

خلف تلك السحاب،

لوحت الريح بجناحيها في هدوء،

وعصفت بصورة مفزعة خلف أذني؛

خلق الليل ألف مارد،

بيد أن شجاعتي كانت متجددة ومثيرة للفرح ..!

أيةُ نار في عروقي ..!

أي جمر في فؤادي ..!

ونظرتُ نحوكِ، والفرح اللطيف

سال من نظرتك العذبة فوقي ..!

قلبي بأجمعه كان إلى جانبك

وكل نَفَس هو من أجلك.

طقس ربيعي وردي

أحاط بالوجه الحبيب.

والحنان – أيتها الآلهة ..!

كنت آملُ فيه ولا أستحقه ..!

لكن يا للأسى، فمع شمس الصباح

يصيب الوداع قلبي بالضيق:

أية لذة في قبلاتك ..!

أي ألم في عينيك ..!

مضيتُ أنا، بينما وقفتِ تحدقين إلى الأرض،

ثم تطلعتِ خلفي بأعين بليلة:

رغم هذا، أية سعادة أن يصبح المرء محبا

محبوبا، أيتها الآلهة، أية سعادة ..!

* * * *

الملك في توله

كان هناك ملك في توله

وفي جدا حتى القبر،

لتلك الميتَة التي منحتْ قرينها

كأسا ذهبية.

* * * *

لم يكن يعدلها بشيء،

كان يصبها كل طعام؛

وكانت الدموع تسيل من عينيه،

في كل مرة يشرب منها.

وحين دنا من الموت،

أحصى مدائن مملكته،

وترك كل شيء عن طيب خاطر لورثته،

فيما عدا الكأس.

* * * *

لقد جلس الملك والفرسان من حوله،

إلى المائدة الملكية،

في قاعة الأسلاف الشامخة،

هنالك في القلعة المطلة على البحر.

هنالك وقف السِكير العجوز،

يحتسي وهج الحياة الأخير،

ثم رمى بالكأس المقدسة

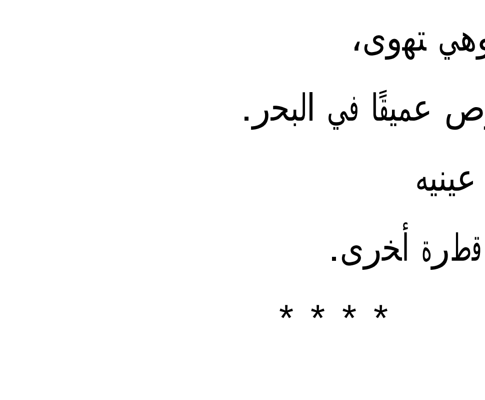
إلى أسفل نحو الموج.

ولقد رآها وهي تهوى،

تمتلئ وتغوص عميقًا في البحر.

أسبَل الملك عينيه

ولم يشرب قطرة أخرى.



* * * *

جانيميد [٢]

كم تتوهج حولي

في ضوء الصبح

أيها الربيع الحبيب ..!

وبألف ضعفٍ من لذة الحب

سرى نحو قلبي

شعور مقدس

بدفئك الأبدي،

أيها الجمال اللانهائي ..!

فكم أود لو أضمك

بين هاتين الذراعين ..!

* * * *

آهٍ....، على صدرك

استلقيت متعطشًا،

---

[٢] صبي أغرم به زيوس فحمله إلى السماء وجعله ساقيا للآلهة.

وورودك وعشبك

سرتْ إلى قلبي.

أنتَ تُبرد الظمأ

المشتعل في صدري ..!

والبلبلُ ينادي بحب علي

من الوادي المفعم بالضباب.

* * * *

أنا آتٍ، أنا آتٍ ..!

إلى أين؟ آه إلى أين؟

إلى أعلى ..! إلى أعلى يكون السعي.

ها هي السحب تحوم

هابطة، وتنحني

للحب الحنون.

لي ..! لي ..!

في حضنك

صاعدا

محتَضنًا محتَضِنًا ..!

صاعدا نحو صدرك،

أيها الأب يا معشوق الجميع ..!

* * * *

بروميثيوس [٣]

لُبد سماءك يا زيوس

بضباب الغيوم

وتمرن، مثل الغلام

الذي يحصد رؤوس الأشواك،

على السنديان وأعالي الجبال.

ينبغي رغم ذاك

أن تدع لي أرضي قائمة،

وكوخي الذي ما بنيتَه،

وموقدي

الذي تحسدني

على وهجه

* * * *

إنني لا أعرف شيئًا أكثر بؤسا

---

[٣] قامت بنشر هذه الكتب "دار الفكر الإسلامي".

منكم تحت الشمس، أيتها الآلهة ..!

إنكم تُغَذون جلالكم

بصورة محزنة

على ضرائب الأضحيات

وأنفاس المصلين

ولو لم يكن الأطفال والشحاذون

حمقى مفعمين بالأمل،

لعانْيتم الفاقة.

- * * *

عندما كنت طفلاً

لا أعرف من أين ولا أين،

وليت عيني التائهة

صوب الشمس، كما لو كانت هناك

أُذن بأعلى تنصت إلى شكايتي،

وقلب مثل قلبي

يشفق على من هم في ضيق.

من الذي أعانني

على مجون التيتان[٤] ؟

من الذي أنقذني من الموت،

من العبودية؟

ألم تنجز كل شيء بنفسك،

أيها القلب القدسي المتوهج؟

ألم تشعل أيها المخدوع،

ذو الشباب والبراءة نيران الشكر

على نجاتك للنائم هناك في الأعالي؟

أنا أُجِلك؟ لماذا؟

هل خَففتَ آلام

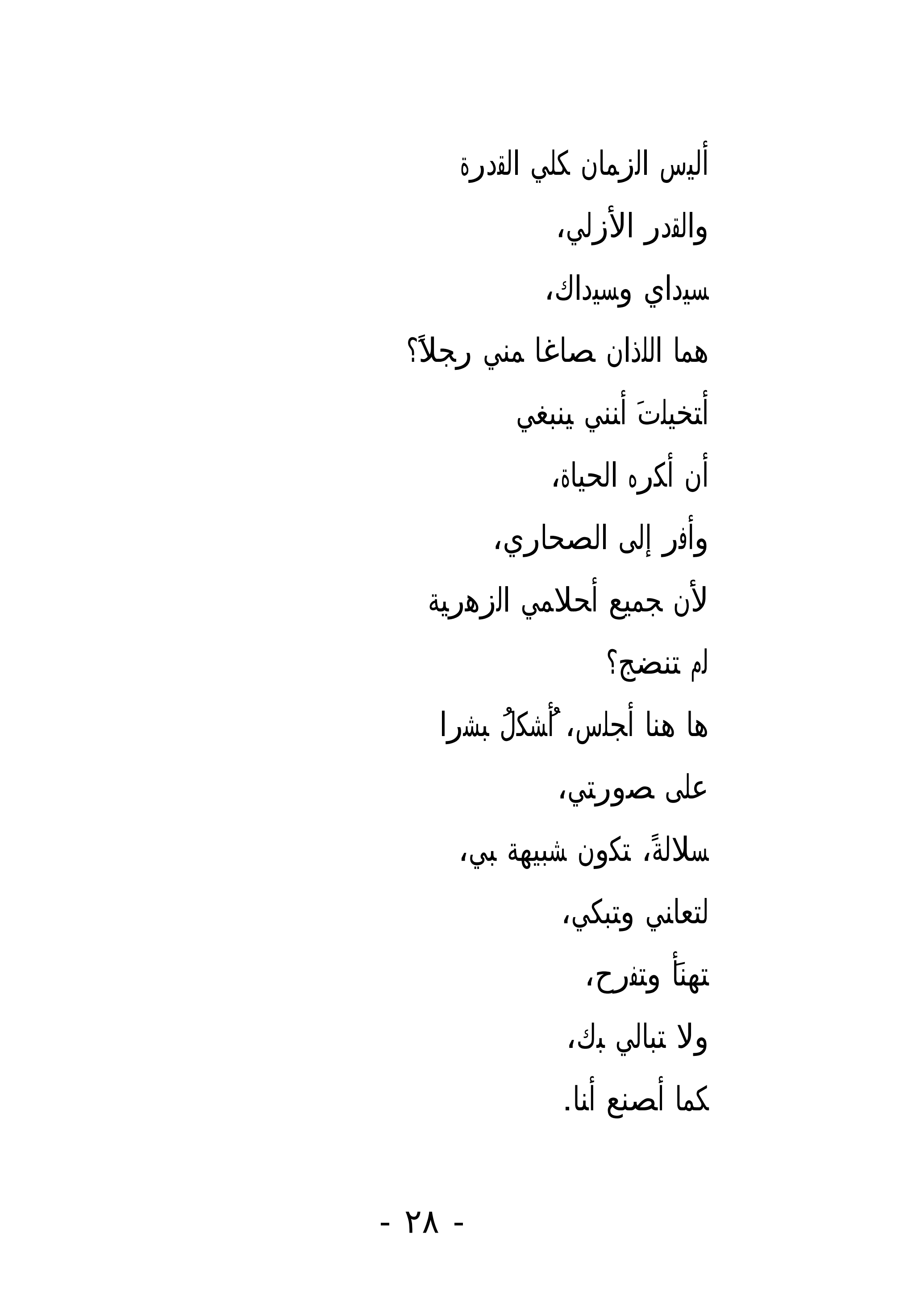
من ثقُلت أحماله؟

هل سكنت دموع

المكروب؟

---

[٤] أسرة من العمالة حكمت الأرض قبل آلهة الأولمب، وبروميثيوس واحد منهم.



أليس الزمان كلي القدرة

والقدر الأزلي،

سيداي وسيداك،

هما اللذان صاغا مني رجلاً؟

أتخيلتَ أنني ينبغي

أن أكره الحياة،

وأفر إلى الصحاري،

لأن جميع أحلامي الزهرية

لم تنضج؟

ها هنا أجلس، أُشكلُ بشرا

على صورتي،

سلالةً، تكون شبيهة بي،

لتعاني وتبكي،

تهنأ وتفرح،

ولا تبالي بك،

كما أصنع أنا.

جريتشن بجوار المغزل

راحتي ذهبتْ،

وقلبي ثقيل؛

ولن أجدها أبدا

أبدا مرة أخرى.

* * * *

أي مكان ليس فيه،

قبر بالنسبة لي،

والعالم بأسره

تشوبه المرارة.

رأسي المسكين

أصابه الجنون،

ذهني المسكين

تمزق إربًا.

* * * *

راحتي ذهبتْ،

وقلبي ثقيل؛

ولن أجدها أبدا،

أبدا مرة أخرى.

* * * *

إليه فحسب أتطلع

حين أنظر من النافذة،

إليه فحسب أمضي

خارجةً من المنزل.

* * * *

قامتُه الشامخة،

هيأتُه النبيلة،

ابتسامةُ فمه،

قوةُ عينيه،

* * * *

والمجرى الساحر

لحديثه

ضغطةُ يده،

وآهٍ قبلته.

راحتي ذهبتْ،

وقلبي ثقيل؛

ولن أجدها أبدا،

أبدا مرة أخرى.

* * * *

إن صدري يندفع

نحوه.

آه لو أحضنه

وأضمه إلي،

وأقبلُه،

هكذا مثلما أشتهي،

ومن أثر قبلته

يغْشَى علي ..!

فوق البحيرة

ها غذاء طازج، ودماء جديدة

أمتصها من الكون الطليق؛

يا للطبيعة التي تضمني إلى صدرها،

من رؤومٍ طيبة ..!

الأمواج تهدهد قاربنا

على إيقاع دورة المجداف الأعلى،

والجبالُ الملبدةُ بالغيوم صاعدةً نحو السماء،

تقابلُ مجرانا.

* * * *

أيتها العين، يا عيني، لِم ترتخين؟

أيتها الأحلام الذهبية، أتعودين من جديد؟

لتبتعد أيها الحلم ..! مهما كنت ذهبيا،

فها هنا أيضا الحب والحياة.

* * * *

فوق الموج تومض آلاف

الأنجم المحلقة،

يتشرب الأفقُ الشاهقُ حولنا

الضباب الناعم،

يرف نسيم الصباح

حول الخليج الظليل،

وفي البحيرة تعكس

الفاكهةُ الناضجةُ صورتها.

* * * *

شعور خريفي

خضراء مخْصبة، أيتها الأوراق،

المتسلقة عل تعريشة الكَرم

نحو نافذتي ..!   لتنتفخي بشدة،

يا ثمرات التوت التوائم، ولتنضجي

أسرع وأتم ائتلاقًا ..!

إن نظرة وداع الشمس الأم

تحضنك، يحف بكِ

فَيض مثمر

من عطايا السماء الرؤوم؛

تُبردكِ أنفاس القمر

الصديقة الساحرة،

وتبللُكِ آه ..!

دموع الحب الأبدي

التي تفيض بغزارة

من هاتين العينين.

* * * *

أغنية متجول ليلاً (١)

يا من مِن السماء

تهدئ كل الأسى والألم،

وتفعم من تضاعفَ بؤسه

بنشوة مضاعفة،

آهٍ....، لقد سئمت تشردي ..!

ما معنى كل هذا الألم والفرح؟

أيها السلام العذب،

أقبلْ، آه أقبلْ نحو صدري.

* * * *

أغنية متجول ليلاً (II)

فوق كل الذرى

هدوء،

في قمم الأشجار

لا تكاد تشعر

بنسمة واحدة:

الطيور الصغيرة تصمتُ في الغابة.

انتظر فَحسب ..! وسرعان

ما ستهدأ أنت أيضا.

* * * *

إلى القمر

ها أنت من جديد تملأ الأجمة والوادي

في هدوء بلمعة الضباب،

تُطلق أخيرا

روحي من إسارها.

* * * *

تنشر نظرتك في ارتياح

فوق عالمي،

كعين صديق رقيقة

تُعاين قدري.

إن كل صدى للأوقات السعيدة والكئيبة

يحِس به قلبي،

متقلبا في عزلته بين الفرح

والألم.

لتَفِض، لتَفِض، أيها النهر الحبيب ..!

أبدا لن أصبح سعيدا ..!

هكذا ذوي المرح والقبلات،

وذوي الوفاء كذلك.

* * * *

رغم هذا فقد كنت أمتلكه ذات مرة،

ما هو ثمين جدا ..!

حتى أن المرء رغم معاناته

أبدا لا ينساه ..!

* * * *

لتهدر أيها النهر، بامتداد الوادي

دون راحة أو سكون،

أهدر واهمس باللحن

إلى أغنيتي ..!

* * * *

حين تفيض محتدا

في ليالي الشتاء،

أو تتدفق في بهاء الربيع

حول البراعم الصغيرة.



سعيد هو من ينسحب من العالم

دون بغضاء،

يضم إلى صدره صديقًا

ويهنأ معه،

* * * *

فما هو غير معروف من الناس،

ولا يفكرون فيه،

عبر متاهة القلب

يتجول ليلاً.

* * * *

غناء الأرواح فوق الماء

تشبه روح الإنسان

الماء:

من السماء تأتي،

إلى السماء تصعد،

ومن جديد لابد أن تهبط

صوب الأرض،

في تحولٍ أبدى.

* * * *

من الحاجز الصخري المرتفع

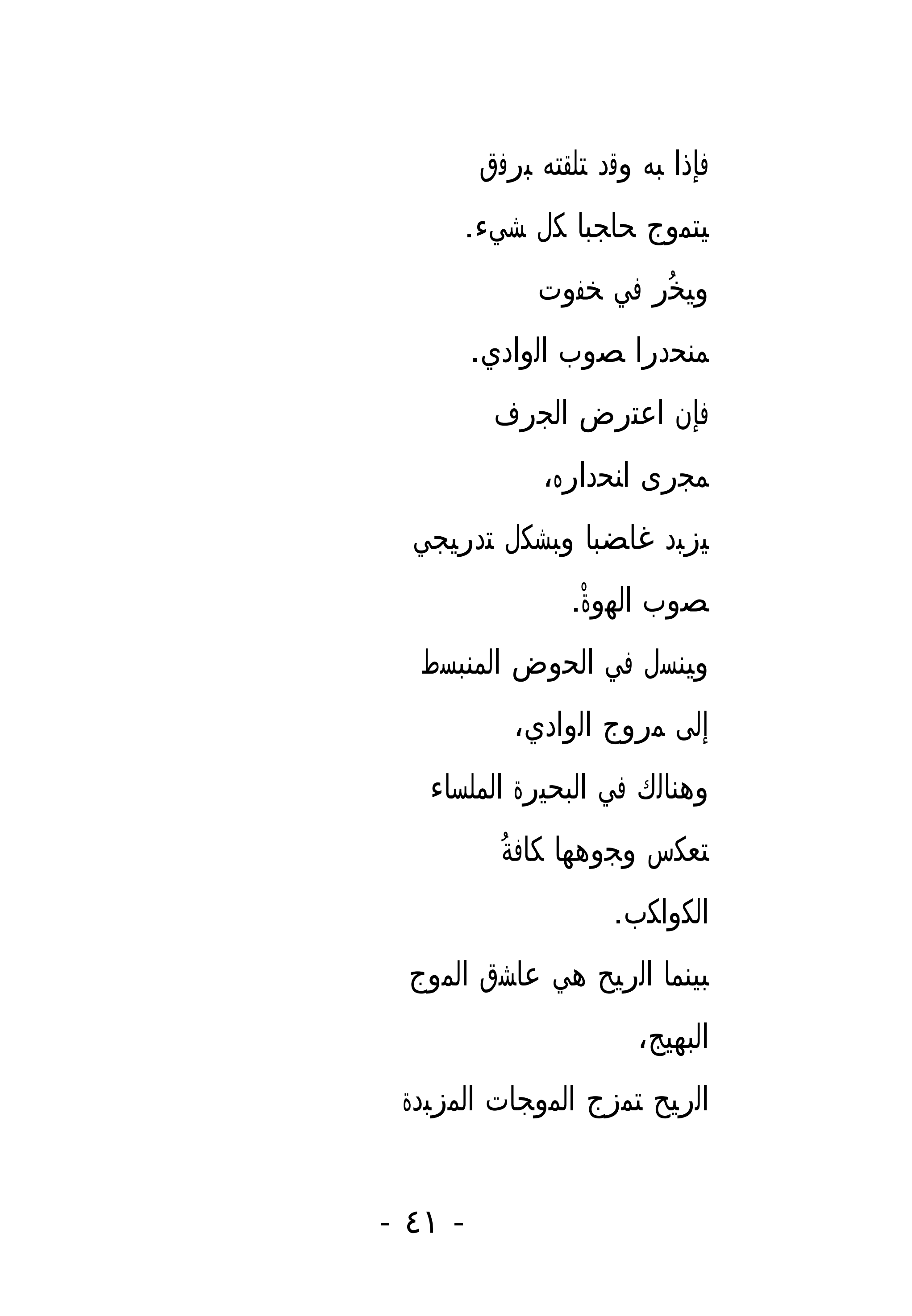
شديد الانحدار،

يتدفق تيار الماء الصافي،

ثم يتطاير بلطفٍ

في موجات ضبابية

إزاء الصخور الملساء،



فإذا به وقد تلقته برفق

يتموج حاجبا كل شيء.

ويخُر في خفوت

منحدرا صوب الوادي.

فإن اعترض الجرف

مجرى انحداره،

يزبد غاضبا وبشكل تدريجي

صوب الهوةْ.

وينسل في الحوض المنبسط

إلى مروج الوادي،

وهنالك في البحيرة الملساء

تعكس وجوهها كافةُ

الكواكب.

بينما الريح هي عاشق الموج

البهيج،

الريح تمزج الموجات المزبدة

الصاعدة من القاع.

* * * *

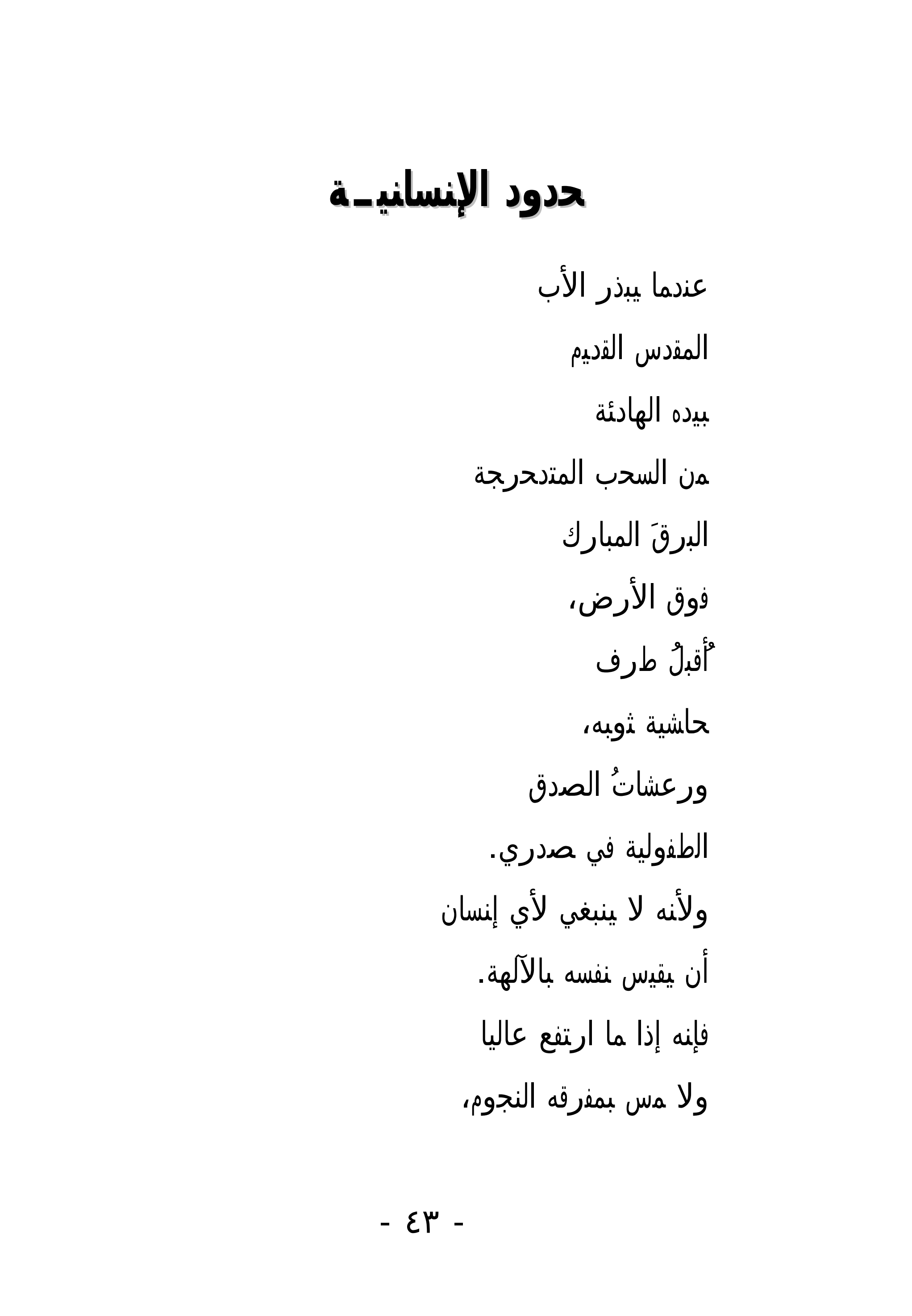
يا روح الإنسان

كم تُشبهين الماء ..!

يا قدر الإنسان

كم تشبه الريح ..!

* * * *



حدود الإنسانيـة

عندما يبذر الأب

المقدس القديم

بيده الهادئة

من السحب المتدحرجة

البرقَ المبارك

فوق الأرض،

أُقبلُ طرف

حاشية ثوبه،

ورعشاتُ الصدق

الطفولية في صدري.

ولأنه لا ينبغي لأي إنسان

أن يقيس نفسه بالآلهة.

فإنه إذا ما ارتفع عاليا

ولا مس بمفرقه النجوم،

لن يجد نعلُه غير الواثق
مكانًا يلتصق به،
وبه سوف تلعب
السحب والرياح.

* * * *

وإذا ما وقف بعظامه
الثابتة القوية
فوق الأرض الراسخة
ذات الأساس المتين،
فإنه لن يمتد عاليا
بما يكفي ليقَارن
حتى بالسنديان
أو الكرمة.
ما الذي يميز الآلهة
عن البشر؟
أن موجاتٍ عديدة

تتقدم أمامهم،

في نهرٍ خالد:

أما نحن ترفعنا الأمواج،

تبتلعنا الأمواج،

ونغوص بعيدا.

* * * *

حلقةٌ صغيرة

تحدد حياتنا،

وأجيالُ عديدة

مكبلةٌ على الدوام

إلى سلسلة وجودها

اللانهائية.

* * * *

ملك الجن

من ذاك الذي يركب متأخرا عبر الليل والريح؟

إنه الأب مع طفله؛

الصبي مستكن بين ذراعيه

وهو يضمه منَعما بالأمن والدفء.

* * * *

بني لم تستر وجهك مذعورا؟

ألا ترى ملك الجن يا أبي؟

ملك الجن بالتاج والرداء المذيل؟

بني إن هو إلا شريط من الضباب.

" أيها الطفل الحبيب، تعالَ وامضِ معي ..!

سوف ألعب معك ألعابا لطيفة،

هناك الكثير من الزهور الملونة على الشاطئ،

وأمي لديها أرديةٌ مذهبة عديدة."

* * * *

أبي، يا أبي ألا تسمع

ما يعدني به ملك الجن بصوت خافت؟

اهدأ، اهدأ يا طفلي،

إنها الريح تخشخشُ في الأوراق الجافة.

"ألن تذهب معي، أيها الغلام الطيب

بناتي سوف يعتنين بك في لطف،

وفي الليل يتصدرن الصفوف،

ويرقصن ويغنين ويهدهدنك كي تنام."

* * * *

أبي، أَبي، ألا ترى بنات ملك الجن

هنالك عند المكان المعتم؟

بني، بنَي، إنني أراهن بوضوح:

تلكم الصفصافاتُ العجائز يسطعن رمادياتٍ جدا.

* * * *

"إنني أحبك، يفتنني شكلك الجميل،

فإن لم تأت طوعا سأستخدم الشدة."

أبي، أَبي، إنه الآن يضمني ..!

لقد آلمني ملك الجن ....!

* * * *

يركض الأب بحصانه مسرعا، وقد أصابه الفزع،

ضاما الطفل الشاحب بين ذراعيه،

وما إن يصل إلى المزرعة في مشقةٍ وتعب،

حتى يجد الطفلَ بين ذراعيه ميتًا.

* * * *

عازف القيثار[٥]

من لم يغمس خبزه بالدموع،

من لم يجلس معولاً في سريره

طوال الليالي المفعمة بالهموم،

لا يعرفكِ، أيتها القوى السماوية.

تقودينا داخل الحياة،

وتدعين الفقير يتحول إلى مذنب،

عندئذ تتركينه للعذاب:

وهكذا يقتص كل ذنبٍ من نفسه على الأرض.

* * * *

---

[٥] وردت هذه الأغنية في القسم الأول من ڤيلهلم ميستر..

مينون [٦]

أتعرف البلد الذي يزهر فيه الليمون

وفي الورق الداكن تتوهج البرتقالاتُ الذهبية،

رياح لطيفة تهب من السماء الزرقاء،

الريحان ساكن والغار ينتصب شامخًا،

أتعرفه جيدا؟ إلى هناك ..! إلى هناك ..!

أريد أن أمضي معك يا حبيبي.

أتعرفُ البيت؟ فوق أعمدة يستقر سقفه،

الردهة تلمع، الحجرات تتألق،

وتماثيل المرمر تنتصب وتتطلع نحوي:

"ماذا فعلوا بك أيتها الطفلة المسكينة؟"

أتعرفه جيدا؟ إلى هناك ..! إلى هناك ..!

أريد أن أمضي معك يا حبيبي.

---

[٦] جاءت القصيدة على لسان الفتاة مينون في رواية ڤيلهلم ميستر – سنوات الطلب (وهو القسم الأول من الرواية).

* * * *

أتعرفُ الجبل ودربه الغائم؟

البغلُ يتحسس طريقه في الضباب،

وفي الكهوف تحيا سلالة التنين القديمة،

الجرف يهوي ومن فوقه فيضان الماء،

أتعرفه جيدا؟ إلى هناك ..! إلى هناك ..!

تقودنا طريقنا ..! آهٍ أيها الأب، دعنا نمضي ..!

* * * *

أنشودة الأقدار

تخشى سلالةُ البشر

الآلهة ..!

إنهم يقبضون بأيديهم الخالدة

على مقاليد السيادة

ويمكنهم استخدامها،

كما يحلو لهم.

وكل من يرفعونه

ينبغي أن يخشاهم بصورة مضاعفة ..!

فعلى الجروف الصخرية والسحاب

تُصف المقاعد

حول الموائد الذهبية.

* * * *

وإذا نشَب شجار

يهوى الضيوف

مزدرين يجللهم العار،

في أعماق الليل،

وينتظرون سدى،

مكبلين في الظلمة،

محاكمةً عادلة.

أما هم فيمكثون

في عيد أبدي

إلى جوار الموائد الذهبية.

يغُذون الخُطى

من جبل إلى جبل:

ومن صدوع الأعماق

تتصاعد نحوهم أبخرةُ أنفاس

التيتان المختنقين،

مثل روائح الأضاحي،

على هيئة سحابة خفيفة.

* * * *

يدير السيدات والسادة: عينه المباركة

بعيدا عن الأجيال كافة،

ويتجنب أن يرى في الحفيد

ملامح أسلافه

الفصيحةَ الهادئة

والمحبوبة فيما مضى.

* * * *

هكذا تغنتْ الأقدار

والعجوز

المنفي داخل كهوف الليل،

ينصتُ إلى الأغاني،

يفكر في الأطفال والأحفاد

ويهز رأسه.

* * * *

مراثي روما [٧]

(٧)

شاعرا بالفرح تستخفني الحماسة

فوق أرض الكلاسيكيات،

وتتحدث إلي العوالم الماضية والحاضرة

بصوت مرتفع جذاب.

ها أنا ذا أتبع النصيحة،

فأتصفح أعمال القدماء

بيدٍ متلهفة ولذة تتجدد كل نهار.

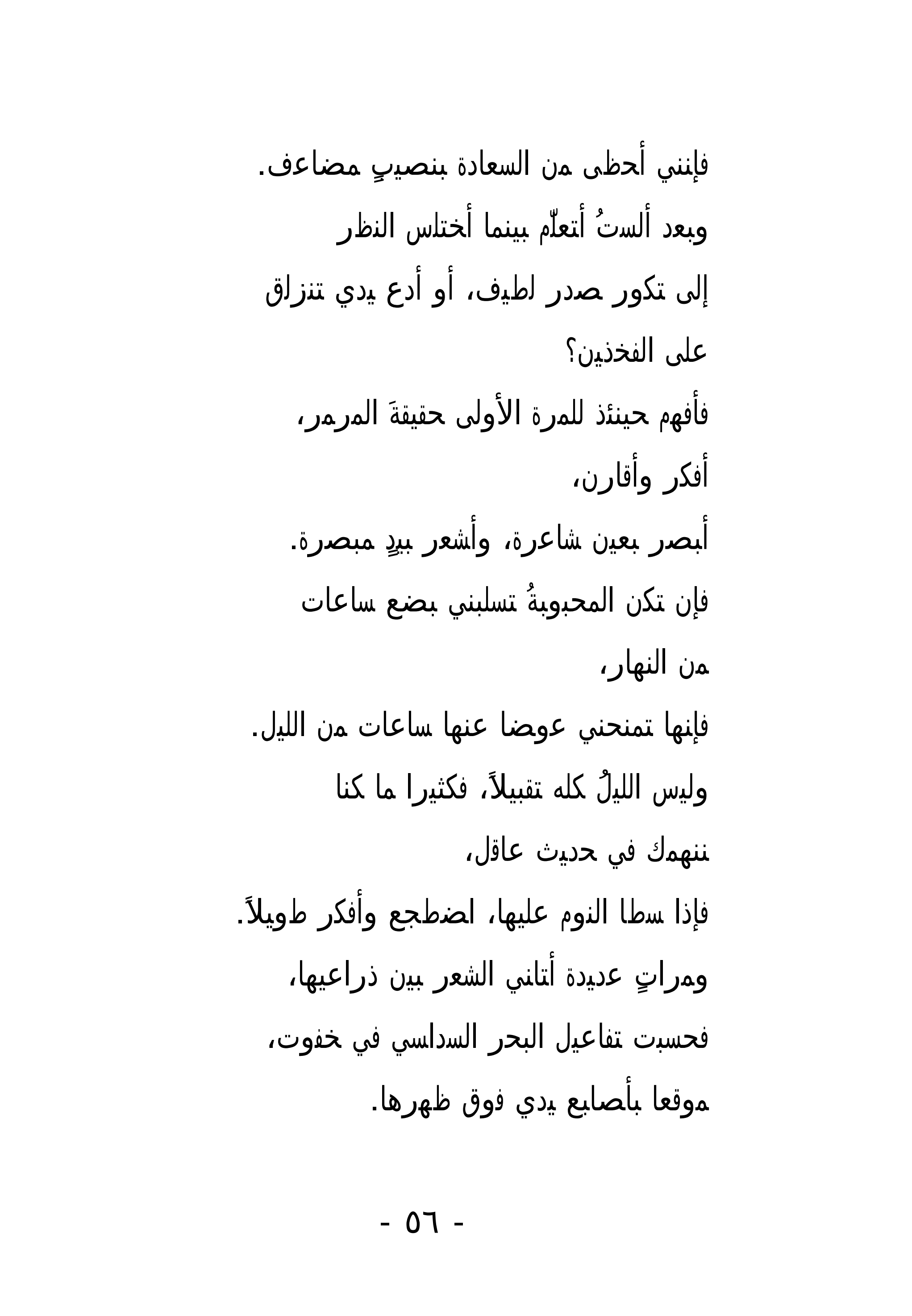
لكن طوال الليل يشغلني إله الحب

بأمورٍ أخرى،

فإذا كنتُ أُصيب من العلم نصفَه فقط،

---

[٧] كتب جوته هذه القصيدة عن ذكرياته في تلك المدينة بعد رحلته الشهيرة إلى إيطاليا.



فإنني أحظى من السعادة بنصيبٍ مضاعف.
وبعد ألستُ أتعلّم بينما أختلس النظر
إلى تكور صدر لطيف، أو أدع يدي تنزلق
على الفخذين؟
فأفهم حينئذ للمرة الأولى حقيقةَ المرمر،
أفكر وأقارن،
أبصر بعين شاعرة، وأشعر بيدٍ مبصرة.
فإن تكن المحبوبةُ تسلبني بضع ساعات
من النهار،
فإنها تمنحني عوضا عنها ساعات من الليل.
وليس الليلُ كله تقبيلاً، فكثيرا ما كنا
ننهمك في حديث عاقل،
فإذا سطا النوم عليها، اضطجع وأفكر طويلاً.
ومراتٍ عديدة أتاني الشعر بين ذراعيها،
فحسبت تفاعيل البحر السداسي في خفوت،
موقعا بأصابع يدي فوق ظهرها.

وهي تتنفس في نُعاسها البهيج،

فتضرمني أنفاسها حتى أعماق صدري.

بينما يؤجج إله الحب المصباح

ويفكر في العصور، التي أدى فيها هذه الخدمة من قبل

للسادة الرومان أعضاء الحكومة الثلاثية.

* * * *

(IX)

في الخريف يضيء اللهب من الموقد الريفي

الذي يشيع الأنس،

يطقطق ويومض، وسريعا يسري بأعلى

الحطب.

كم يبهجني هذا المساء ..! لأنه قبل أن تلتهم

النار الحزمة

وتحيلها جمرات ذاويةً تحت الرماد،

سوف تُقْبل فتاتي اللطيفة

حينئذ تتوهج الأحطاب والجذوع

ونصنع من الليلة الدافئة عيدا مبهرا.

وغدا في الصباح سوف تغادر خفيفةً فراشَ الغرام،

وتثير بيدها من جديد ألسنة اللهب في الرماد.

فلأن إله الحب وهب هذه المخلوقة الفاتنة

من العطايا خيرها،

صار لها أن توقظَ المسرات التي كادت تغوص

مثل الرماد في السكون.

* * * *

(XIV)

أشعلْ الضوء، أيها الفتى ..!

إن السماء لم تزل مضيئة.

سوف تستهلك الزيتَ والفتيل

دون جدوى.

لا تغلقْ مصاريع النوافذ ..!

فالشمس قد انحدرتْ خلف المنازل فحسب،

لا وراء الجبل ..!

ومازال متبقيا نصفُ ساعةٍ على صلاة

المساء.

امض أيها التَعِس ..! واصدع بما أُمِرت ..!

فإنني أنتظر فتاتي.

في غضون ذاك،

واسِني أيها المصباح،

يا رسول الليل البهيج.

قرب المحبوب

أفكر فيكِ حين يشع بريقُ الشمس

من البحر تجاهي؛

أفكر فيك عندما يرتسم وميض القمر

في الينبوع.

أراكِ حين يرتفع الغبار

على الطريق النائية،

في الليل العميق، عندما يرتعش المسافر

فوق الدرب الضيق.

أسمعكِ حين يتصاعد الموج هنالك

في خرير عميق.

وفي الغابةِ الساكنة أمضي مرهف السمع مرارا،

عندما يصمت كل شيء.

* * * *

إنني معكِ مهما تكونين بعيدة،

فأنت قريبة مني ..!

ها هي الشمس تغرب، وعما قريب تسطع النجوم.

آه لو كنتِ هنا.

* * * *

بقاء في التغير

لو أمكنني أن أقبض على هذه النعمة الباكرة،

آهٍ.....، لساعةٍ واحدة فقط ..!

بيد أن الرياح الغربية الدافئة

تثير وابلاً من الزهر.

أينبغي أن أفرح بالخضرة

التي أدِين بالظل لها فحسب؟

سرعان ما ستبددها العاصفةُ أيضا

حين تنتثر في الخريف مصفَرة.

* * * *

لذا إذا طالتْ يدك الفاكهة

فلتأخذْ نصيبك منها دون إبطاء ..!

من تلك البادئة في النضج،

والأخرى الطالعة بعد،

فإن واديك الرؤوم ذاته يتغير

بفعل كل زخة ماطرة،

آهٍ، وفي نفس النهر

لن تسبح مرة ثانية.

أنت نفسك الآن ..! ما كان ينتصب أمامك

في صلابة الصخر،

أسوار وقصور تراها دائما

بعينٍ أخرى.

لقد تلاشت الشفةُ

التي فيما مضى كانت تلتذ بالقُبل،

والقدم التي قارنتْ نفسها

بالوعل الجريء فوق الجرف.

* * * *

إن تلك اليد التي تحركت بخفة وسرور

لتصوغ على نحو جيد،

التكوين المتسق المفصل،

هي واحدةٌ أخرى تماما الآن.

* * * *

وما يدعو نفسه الآن

في كل موضعٍ باسمك،

كموجةٍ قد أتى إلى هنا،

وكموجة سوف ينحل سريعا إلى عنصره.

* * * *

دع البدايةَ والنهاية

يتقلصان إلى نقطةٍ واحدة ..!

وبخفةٍ أكبر من الأشياء

حلق بعيدا ..!

ولتَحمد لآلهات الفن رعايتهن

التي تُبشر بالخلود:

المضمون في صدرك

والشكلَ في ذهنك.

* * * *

وجدتها

مضيتُ إلى الغابة

وحدي – في صحبة نفسي

ولم أكن أبحثُ عن شيء،

هذا كان قصدي.

* * * *

فإذْ بي أرى في الظل

زهيرة نامية،

وضاحةً كالنجوم،

جميلةً مثل عين صغيرة.

فأردتُ أن أقطفها

عندئذٍ قالت بصوت رخيم:

أينبغي أن أُقْطَف

كي أذبل؟

* * * *

فنزعتُها من التربة

بكامل جذورها،

وحملتها إلى الحديقة

بجوار منزل جميل.

* * * *

ومن جديد غرستُها

في ذلك المكان الهادئ.....؛

وها هي الآن تتفرع على الدوام

وتُزهر دون انقطاع.

* * * *

حنين مبارك[٨]

لا تُخْبر بقولي أحدا، سوى الحكيم،

لأن العامة سيهزؤون منك على الفور:

إنني أود أن أُثني على الحي

الذي يتوق إلى الفناء في اللهيب.

* * * *

ففي رطوبة ليالي الحب،

التي أُنْجِبتَ وأَنْجبتَ فيها،

يستولي عليك شعور غريب

حين تنير الشمعةُ الساكنة.

فلا تمكثُ أكثر من هذا أسيرا

في الظلمةِ الظليلة،

وتمزقُك شهوةٌ جديدة

على تزاوجٍ أسمى.

---

[٨] هذه القصيدة والقصيدتان اللتان تليانها من الديوان الشرقي الغربي.

ما من بعدٍ سوف يثنيك

وستُقْبل طائرا ومسحورا،

وفي نهاية الأمر، إذْ بك يا من تشتهي النور،

فراشةٌ محترقة.

* * * *

فإن لم تتدبر طويلاً

هذا القول: افن وصِر ..!

سوف تظل مجرد ضيف كئيب

على هذه الأرض المعتمة.

* * * *

أغنية وتشكيل

دع الإغريقي يسوي

من الصلصال أشكالاً،

وبثمرة يديه

يتزايد افتتانه؛

* * * *

أما نحن فنغمس في مياه الفرات

أيدينا بلذة...؛

وداخل العنصر السيال

نطوف مرارا.

لو أنني أطفأتُ هكذا حريقَ الروح؛

لترجعتْ أصداء أغنيتي،

إن الشاعر إذا ما اغترف بيده الطاهرة

تكور من تلقاء نفسه الماء.

* * * *

إلى الغصون المحملة بالعناقيد

إلى الغصون المحملة بالعناقيد

لتنظري فحسب، أيتها المحبوبة ..!

ودعيني ُأريكِ الثمار،

مغَلفة بالقشور حسكيةً، خضراء.

* * * *

تتدلى طويلاً متشبثةً بإحكام،

ساكنة، ومجهولةً من ذاتها؛

يهدهدها في صبر

فرع يتمايل متأرجحا.

بينما اللب البني طوال الوقت

ينضج وينتفخ في الداخل،

يود لو حظِي بالهواء

ورأي الشمس في سرور.

وتتشققُ القشرةُ وإلى أسفل

تسقطُ في فرح منفلتة،

هكذا تتساقطُ أغاني

وتهوي متكومةً في حجرك.

* * * *

كلمات أورفية[٩]

شيطان

مثلما وقفت الشمس لتتلقى تحية الكواكب،

في اليوم الذي وهبك للدنيا،

سريعا رحتَ تنمو وبدون انقطاع

وفقًا للقانون الذي تحكّم فيك منذ بدأت

هكذا لابد أن تكون، من ذاتك لا يمكنك أن تهرب،

هكذا قالت العرافاتُ من قبل، والأنبياء كذلك؛

وما من زمنٍ ولا قوةٍ يمكنها أن تحطم

القالب الذي صيغ بحيث يتطور مادام حيا.

---

[٩] نسبة إلى أورفيوس وهو شاعر عاش قبل هوميروس في تراقيا، إلى أناشيده ترجع العقيدة المعروفة بالأسرار الأورفية، المختصة بعبادة ديونيزيوس. وهذه القصائد مأخوذة من مجموعة القصائد الفلسفية التي كتبها جوته في شيخوخته.

الصدفة

إن عاملَ التغير الذي يسير معنا وحولنا

يلتف رغم ذلك بصورة مقبولةٍ حول الحدود الصارمة،

هكذا لن تمكث وحيدا، سوف تتكيفُ مع المجتمع،

وتتصرفُ بشكل لائقٍ مثلما يصنع الآخرون:

داخل الحياة تكون الأشياء حينًا مرضِية،

وحينًا لا تكون كذلك،

إنها دمي ونحن نعبث بها كما تستحق.

لقد أكملتْ حلقةُ السنين في هدوءٍ دورتَها،

والمصباح في انتظار اللهب الذي يشعله.

* * * *

الحب

لن يمكث الحب بعيدا ..! – سوف يهوي من السماء

إلى حيث صعد من القفار القديمة،

ويحوم نحونا بجناحين هفافين

حول الجبهة والصدر طوال عيد الربيع.

يبدو الآن أنه يفر، ومن جديد يدير ظهره للفرار:

عندئذ يصبح في الألم راحةٌ عذبة ومفعمةٌ بالقلق.

قلوب كثيرة تحوم بوجه عام،

لكن أنبلها يكرس نفسه للواحد الأحد.

* * * *

الضرورة

عندئذ يصبح الأمر من جديد، مثلما قضتْ النجوم:

الشرطُ والقانون؛ وكل إرادة

هي مجرد رغبةٍ، إذْ أننا مجبرون في الحقيقة،

وإزاء الإرادة يصمت التعسف؛

ما هو محبوب أكثر يطْرد من القلب في ازدراء،

والإرادة والخيال يخضعان للجبرية القاسية.

لذا فإننا رغم كوننا أحرارا في الظاهر،

بعد أعوامٍ عديدة،

محصورون فحسب أكثر مما كنا في البداية.

* * * *

الأمـل

مع ذلك فإن مثل هذه البوابة الكريهة إلى أقصى حد
في السور النحاسي المتاخم سوف لا تُغْلَق،

إنها تنتصب فحسب في ثبات صخرةٍ عتيقة ..!

كائن ما يتحرك بخفةٍ مطلق العنان:

وبعيدا عن غلاف السحب والضباب وزخاتِ المطر،

يرفعنا إلى جواره، ويمنح كلاً منا جناحين،

أنت تعرفُه جيدا، إنه منتشر عبر جميع المناطق –

خفقةُ جناحٍ واحدة – وإذْ بالأبد خلفنا.

* * * *

أبيض كالسوسن

أبيض كالسوسن، والشموعِ الصافية،

شبيها بالنجوم، منحنيا في تواضع،

يسطع وهج الحب

من مركز القلب أحمر الحواشي.

* * * *

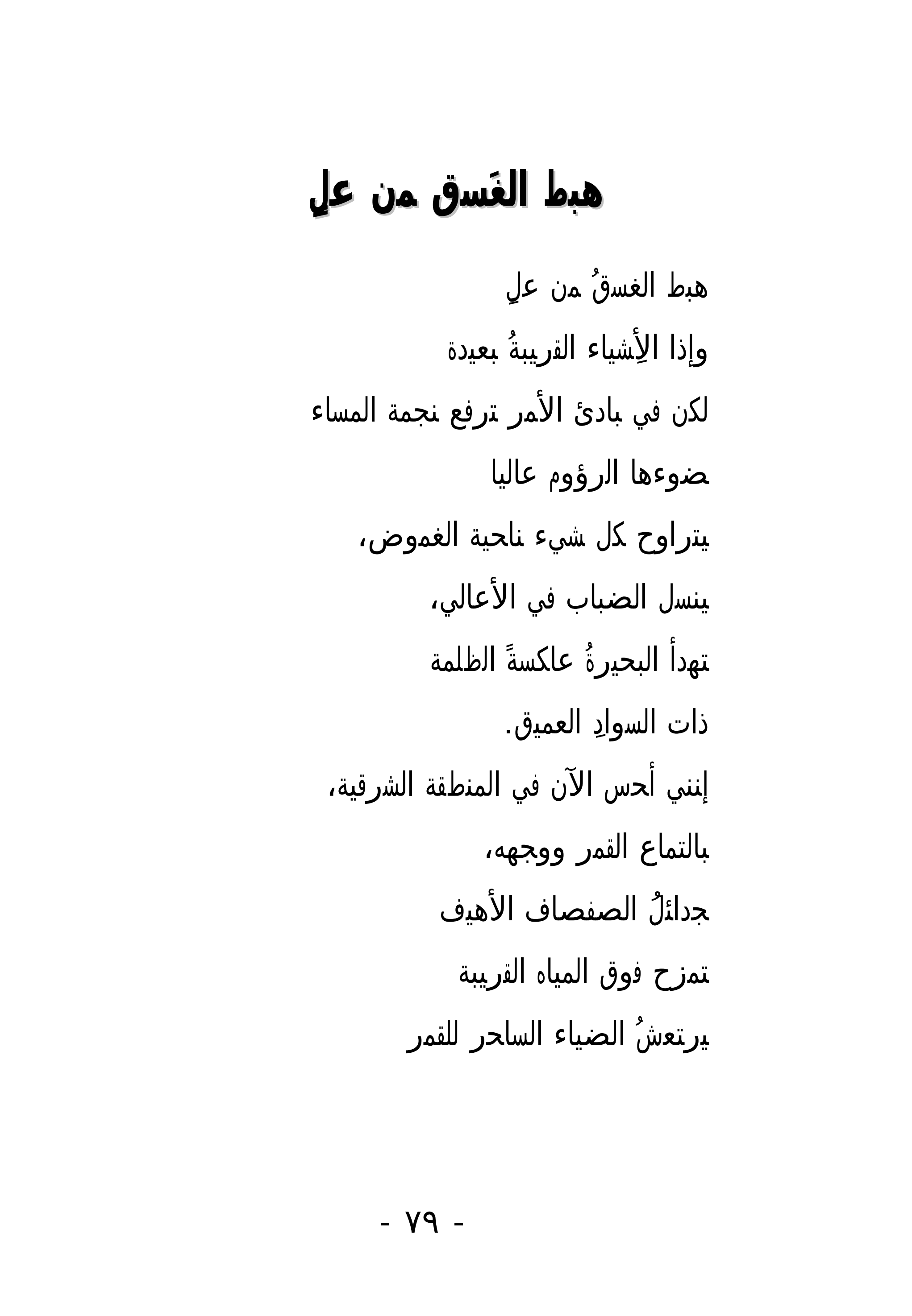
كذلك يزهر النرجس الباكر

في صفوفٍ داخل الحديقة.

لعله يعرفُ جيدا،

لأجل من ينتظر مصطْفا.

* * * *



هبط الغَسق من علٍ

هبط الغسقُ من علٍ

وإذا الأشياء القريبةُ بعيدة

لكن في بادئ الأمر ترفع نجمة المساء

ضوءها الرؤوم عاليا

يتراوح كل شيء ناحية الغموض،

ينسل الضباب في الأعالي،

تهدأ البحيرةُ عاكسةً الظلمة

ذات السوادِ العميق.

إنني أحس الآن في المنطقة الشرقية،

بالتماع القمر ووجهه،

جدائلُ الصفصاف الأهيف

تمزح فوق المياه القريبة

يرتعشُ الضياء الساحر للقمر

خلال لعب الظلال المضطربة،

وعبر العين تتسالُ البرودة بلطفٍ

نحو القلب.

* * * *